جامعة أبو بكر بلقايد –
تلمسان
العلوم الإنسانية و العلوم الاج
قسم الفلسفة

مقياس عن بعد /السداسي الأول : الفلسفة والبيوإتيقا

المستوى: LMD S5

الموسم الجامعي: 2025-2026

الأستاذ المسؤول عن المقياس:د, بن عيسى خيرة.

عنوان المحاضرة: جدل الدين والبيوإتيقا

جدل الدين والبيوإتيقا :

إن ارتباط البيوإتيقا بالأخلاق وارتباط الدين بالأخلاق كذلك، لا يعني أنهما ينتميان إلى نفس المجال، أو أن البيوإتيقا تستمد مبادئها وقيمها الأخلاقية من الدين، ثم إن أهم الموضوعات التي تتطرق إليها البيوإتيقا هي موضوعات مستحدثة ظهرت مع تطور العلم والتقدم الهائل في مجال العلوم الحيوية، ومن ثمة تبقى أية محاولة للربط بين الدين والبيوإتيقا أو فصلهما أمرا صعبا وحرجا جدا، ولعل أكبر سؤال يمكن أن يُطرح هنا هو : هل البيوإتيقا تفكر من منظور عقلاني كوني، أم أنها تستمد عناصرها من نص ديني ثابت؟ ولأن المجتمعات لا تعتقد بدين واحد فهنا يجب احترام الأديان والمعتقدات، وعليه كيف يمكن للبيوإتيقا أن توفق بين هذا التنوع والتعدد وتقدم نموذجا أخلاقيا مشتركا ؟

هذا ويعرف موضوع علاقة الدين بالبيوإتيقا صعوبة أكثر عندما تطرح البيوإتيقا مشكلات طرحها العلم حديثا، لم يكن للإنسان عهد بها، ولم تكن متداولة في الاعتقادات والأديان كالوراثة بالمفهوم المعاصر والتعديل الجنيني والذكاء الاصطناعي في مجال الطب، وهو ما يدعو إلى ضرورة معالجة هذه الإشكاليات الصعبة الذي قد تظهر في إطار حوار بين البيوإتيقا والدين، أو جدل قد يفضي إلى نزاع وصراع شديد، لأن الإشكالية ربما تطرح اختيارين أحدهما أصعب من الآخر، إما الإنسان ككائن مقدس لا يمكن المساس به ،أو إنسان يمكن وضعه موضع تجريب وبحث وتعديل كذلك، والمفارقة أن كليهما؛ أي البيوإتيقا والدين يسعيان إلى الحفاظ على قيمة الإنسان وكرامته .

اللاهوت كمؤسس للحوار البيوإتيقي:

كما أشرنا سابقا أن وضع مصطلح البيوإتيقا والتأسيس لها كعلم لم يكن من طرف الفلاسفة ولا حتى من اللاهوتيين، بل يعود الفضل إلى العلماء في مجال الطب، وقد أشرنا

سابقا إلى إسهامات عالم السرطان "فان بوتر" حيث تطورت البيوإتيقا في بدايات نشأتها من خلال حوارات ولقاءات كانت بين الأطباء ومفكرين ملتزمين من العلوم الإنسانية من اليهود والمسيحيين، "بهذا اعتُبر اللاهوتيون بوصفهم ممثلين للإتيقا، فكان اللاهوتيون البروتستانت أولا في قلب ما سيصير البيوإتيقا"[1]. وهو ما يؤكد أن البيوإتيقا في بداياتها احتضنها اللاهوتيون إضافة إلى بعض الفلاسفة والأطباء؛ وقد كانت لهؤلاء وزنا وأهمية في هذا المجال، و "من الملفت للانتباه ملاحظة أنه في المرحلة التي بدأت فيها مسألة تعيين ممثلين لمجال الأخلاق ضمن اللجان الأولى المكلفة بتوضيح المشكلات الصعبة المثارة جراء الممارسات الطبية الجديدة، فإن الفرع الذي كان يُحال إليه مباشرة لم يكن هو الأخلاق أو الفلسفة وإنما اللاهوت"[2] .

إلا أن التطورات الهائلة في مجال العلوم البيوطبية والتكنولوجيا الحيوية، أصبح أفقه أوسع وأفضى إلى ظهور إشكاليات جديدة ومعقدة ارتبطت بمفاهيم كبرى كالحقوق والحياة والمسؤولية وغيرها: وقد كانت في البداية بمثابة محاولة إلى "إقامة طب إنساني يشمل مجموع أعضاء الجماعة"[3]، و كان ذلك سببا في تراجع مكانة اللاهوت داخل حقل البيوإتيقا فلم تعد الإمدادات الدينية قادرة على مواجهة التطورات المتسارعة في مجال العلم، فهي لم تتمكن من فهم ذلك التحول وبقيت منحصرة في مكوناتها اللاهوتية، التي جعلت من أخلاقهم أخلاقا تقليدية غير كافية لحل المشكلات الأخلاقية المعاصرة " ففي اللاهوت الأخلاقي وخاصة الفكر الكاثوليكي التقليدي كان هناك اهتمام بأخلاقيات الطب، وقد أنشأ في ذلك مدرسة، لكنه رغم ذلك كان لا يزال منخرطا في المفهوم الجامد للقانون الطبيعي، وليس مستعدا لمواجهة المستجدات الجذرية في المشكلات المطروحة"[4]:

ولهذا لم تستكمل البيوإتيقا نموها في أحضان اللاهوتيين، بل أصبحت مجالا متعدد التخصصات واهتم يها فئة واسعة من الفلاسفة وعلماء القانون. ويمكن التأريخ لذلك "من منتصف سنوات 1970، تحولت البيوإتيقا إلى مؤسسة علمانية وحقوقية سياسية وأخذت الأنسنة المطلوبة عندئذ وجهة أخرى غير تلك التي رسمها لها المشاركون الأوائل في الحوار البيوإتيقي" 5.

وهذا لا يعني الفصل التام بين اللاهوت والدين، بل تقلص دور رجال الدين في مجال البيوإتيقا، لأن هذه الأخيرة تحولت إلى مجال واسع، ومن ثمة تطلبت بحثا متزامنا مع الأحداث التي يعيشها العالم، والتي تستوجب قانونا سريعا أو حلا لمواجهة الظاهرة

---

[1] -هيبر دوسيه ،اللاهوت وتطور البيوإتيقا الأمريكية .

[2] - هيبر دوسيه ،اللاهوت وتطور البيوإتيقا الأمريكية

[3] - هيبر دوسيه ،اللاهوت وتطور البيوإتيقا الأمريكية

[4] Boné Édouard. Les trois générations de la bioéthique. In: *Revue théologique de Louvain*,

[5] - هيبر دوسيه ،اللاهوت وتطور البيوإتيقا الأمريكية 7

الطبيعية الحاصلة وليس العودة إلى مبادئ أخلاقية بعيدة عن التطورات في مجال التقنية والطب.

البيواتيقا علمانية:

يظهر هذا المصطلح ليحدد طبيعة البيواتيقا في أنها علمانية، فهي في الأصل نشأت داخل فضاء علماني غربي، وهو ما قلص دور اللاهوتيين. وإن كانوا هم أول من أسسوا للحوار الإتيقي، إذ أصبح ينظر إلى اللاهوتي على أنه خبير في مجال الأخلاق، "إن الإتيقي هو لاهوتي قديم ليست له القدرة المهنية اللازمة كي يتواجد في الفلسفة الأخلاقية"[6] .

إن ظهور البيواتيقا نشأ داخل فضاء علماني غربي، ويمكن أن نفهم ذلك بالبحث في موقع الخطابات الدينية في السلطة التي كانت علمانية خالصة، خاصة في أمريكا مهد البيواتيقا، والأسئلة الكبرى في مجال العلوم البيوطبية والتكنولوجية الحيوية، والتي لم تلبث طويلا لتتوسع في أوروبا.

تجدر الإشارة هنا إلى أن العلمانية لم تكن ضد الدين، بل الفضاء العلماني الذي نشأت فيه البيواتيقا هو الذي ساهم في وضعها ضمن سياق علماني منفصل عن الدين، فالتطور الذي عرفه العالم آثار تساؤلات جديدة وغير معهودة، ولم يكن للخطاب الديني إجابات جاهزة حولها، فنشأت لجان*طبية وتم وضع تشريعات قانونية تدافع عن حقوق الإنسان، وأسهم عندها العلماء والفلاسفة من جانبهم بوضع إجابات ونظريات مهمة.

يتميز هذا العصر بالتوجه نحو التعدد، فلم تعد الكنيسة تمارس سلطتها كالسابق، وأصبحت هناك حرية في المعتقد، ولم يعد الدين المرجعية الأساسية والوحيدة الفرد، وانفتح الخطاب الديني على الواقع وقد كان ذلك ضرورة فرضتها الحداثة الغربية، وهذ التحول لم يكن على مستوى الدين فقط، بل حتى في الفلسفة ظهرت المذاهب الفلسفية الكبرى وسقطت الأنساق المغلقة وبروزت الفلسفات النقدية، فساهم ذلك في الانفتاح على المجال العمومي، وهو ما أثر بدوره على الأخلاق التي أصبحت موضوعا لهذا التعدد ولم يحتكر الدين أو الفلسفة الأولوية في وضع المعايير أو النظم.

داخل هذا الفضاء المفتوح، وهو فضاء علماني ظهرت البيواتيقا، "إن التعددية الفلسفية والدينية التي ميزت الحداثة المعاصرة، كانت السمة المميزة للمناخ الذي تأسست فيه الأخلاقيات الحيوية وهو ما سمح لترسترام إنغلهاردت (Tristram engelharot) بالقول

6- هيبر دوسيه ،اللاهوت وتطور البيواتيقاالأمريكية

* مثل: لجان الأخلاقيات التي تأسست في أمريكا سنة 1974 ضمت أطباء ورجال قانون وعلماء اجتماع وفلاسفة إضافة إلى عناصر من المواطنين كممثلين

:"إنها حفيدة عصر الأنوار، إذ لا يمكن الهروب من حقيقة أن البيواتيقا هي في الأصل مشروع علماني بحت"[7].

إلا أن هذا الابتعاد والاستقلال الذي عرفته البيواتيقا عن الدين، لم يكن مانعا من مشاركة الخطاب الديني في النقاش والحوار لكونه مساهما اجتماعيا في القضاء العمومي، وكان ذلك بمثابة تطور وليس كسلطة دينية تفرض ذاتها، فالبيواتيقا أصبحت تستوعب تخصصات متعددة واندمجت بدورها ضمن القضاء العمومي، إذ "على الرغم من كل شيء توجد مكانة للخطاب الديني في البيواتيقا، كذلك يمكن للاهوت أن يشارك، باعتباره مجالا تأمليا في النقاشات المعرفية الراهنة لمشروع الأخلاقيات الحيوية، ويمكن إدماج الخطاب الديني في العملية التداولية"[8]

إن إدماج الدين في النقاشات الحادة التي أفرزتها تطورات العلوم الحيوية في كونه مساهما ومشاركا في الحوار وليس كسلطة صارمة مطلقة أو كمرجعية، يصطلح عليه .

بمرحلة ما بعد العلمانية وتوضيح ذلك فيما يلي:

ما بعد العلمانية:

لعل هذا المصطلح وكذلك مصطلح الفضاء العمومي يذكرنا بهابرماس الذي أثار فكرة مجتمعات ما بعد العلمانية، وتطرق إلى وضع الدين ومدى مشاركته في عصر الحداثة وما بعدها.

أولا ما بعد العلمانية ليست مرحلة تاريخية موالية، كما نقول مثلا الحداثة وما بعد الحداثة، بل مرحلة معرفية اجتماعية ميزت فترة نهاية القرن العشرين، وهي المرحلة التي أظهرت أن الدين لازم للحياة العمومية ومشارك في النقاشات الأخلاقية، ثم إن البيواتيقا ذاتها بعدما بدت وكأنها مستغنية عن الدين وأنها مستقلة بذاتها، أصبحت بحاجة إلى مرجعية

---

[7] Boné Édouard. Les trois générations de la bioéthique. In: *Revue théologique de Louvain*,

8 Les Discours Religieux